فنّ اللوحات الفسيفساء بـ (فيلا دار بوك أعميرة) بليبيا، وأهم الموضوعات التي احتوتها (دراسة تاريخية تحليلية)

حافظ سليمان سعد العدلي ـ قسم الفنون ـ كلية الفنون والعمارة ـ جامعة درنة.

الملخّـــــص :

لقد احتضنت ليبيا العديد من الحضارات حيث تعتبر مهدًا لها ، فقد نشأتْ على أراضيها حضارات ضاربة في القدَم لها فنونها الخاصة بها ، تميّزت بطابعها الجمالي إلى جانب الطابع الوظيفي والنفعي ، ونظرًا للانتشار الواسع للرسوم والنقوش والمنحوتات الصخرية الموجودة بكثرة في المناطق الجنوبية والجنوب الغربي لليبيا ، بالإضافة إلى غالبية السواحل الليبية التي استوطنها على التوالي الإغريق ، والرومان، وحتى البيزنطيين ، فقد أقتصر هذا البحث على دراســـة فنية ووصفية وتحليلية للوحات من الفسيفساء البيزنطية المتواجدة في منطقة دار بوك أعميرة بزليتين خلال الفترة ما بين (533 -642م) .

وفي هذا البحث يتطـــــرّق الباحث إلى الخوض في الحديث عـــن فــن لوحات الفسيفساء الليبية بفيلا دار بوك أعميرة بزليتين ، وأهم الموضوعات التي احتوتها، فقد تم التطرق إلى نشأه الفسيفساء في ليبيا من الناحية التاريخية ، وتعريف بالفسيفساء ، ثم نبذه عن أنواع اللوحات الفسيفساء في ليبيا ، وفكرة عن الشكل العام لتخطيط الهندسي لمبنى دار بوك أعميرة بزليتين التي عثر بها هذه الفسيفساء ، ومن ثم الدراسة التحليلية لنماذج من اللوحات الفسيفساء ، ودراسة أهم موضوعاتها .

Abstract

Libya has embraced many civiliations, at is considered a cradle of civilions. Many ancient civilizations have arisen on its lands, with their own arts, which were distinguished by their aesthetic nature in addition to the utilitarian functionality, and due to the wide spread of drawings, inscriptions and rock carvings that are abundant in many southern regions of Libya. And its southwest, in addition to the highlands of the Libyan coasts, which were settled successively by the greeks, the romans, and even the byzantines. In this research, the studnt discusses the art of Libyan mosaic paintings in the villa of dar bok amira in zliten and the most important topics it contained. The student also touched on giving an idea of the general shape of the engineering layout of the dar bold (zliten) building, in which it was found. Mosaic, and then the

analytical study of models of mosaic paintings, and the study of its most important topics .

المُقـــدّمـــــــــة:

فـــــوق تلة تبعد 2 كم من مرفأه زليتين ، تنتصب دار بوك أعميرة المكتشفة 1913م. وسميت بهذا الاســـــــم نسبة إلى شخص يقطن بالقــرب من الدّار يدعى الحاج أعميرة ، تُشير المصادر التاريخية إلى أن تاريـــخ (فيلا دار بوك أعميرة) يرتقي إلى الفترة ما بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين ، وتُعد الدار أحد الفلل الرومانية التي شـــيّدها أغنياء الرومان في الريف لاستخدامهم الخاص، وتعطي لزائرها الحياة في تلك الأزمان [1] .

تعتبر(فيلا دار بوك أعميرة) من طــراز الفيلات البحرية ، التي انتشرت في ضواحي مــدن الساحل الشمالي لولاية افريقيا الرومانية وأقاليمها، هذه الفيلا التي تُوجد في ضواحي مدينة زليتين الليبية تُعتبر من بين أكثر الفيلات الرومانية المكتشفة في ليبيا ثــراء بلوحات الفسيفساء المتعددة الألوان والتصاميم والموضوعات ، كذلك الرسومات الجدارية ، وقد نقلت العديد من الأعمال الفنية منها إلى المتحف الوطني بالعاصمة الليبية طرابلس ، كذلك متحف مدينة زليتين ، وهذا البحث يتناول دراسة تلك الأعمال الفنية ، ويهدف الى تسليط الضوء على سماتها الفنية، والتعريف بها، وإبــراز أهم مميزاتها وتحليلها [2] .

كما قامتْ على أراضيها حضارات قديمة ، بعد أن استعمرت غالبية السواحل الليبية واستوطنتها على التوالي ، بدْءاً من الإغـــريق والرومان ، وحتى البيزنطيين، ومن ضمن هذه الفنون (فن الفسيفساء) الجدارية والأرضية ، التي نحن بصدد البحث فيها، فالفسيفساء أحد أدوات التشكيل في مجال التصوير الجداري لها كل الإمكانيات التصويرية ، كما تعد في نفس الوقت من الفنون العريقة التي استخدمت في تزيين كافة أنواع العمائر على مرّ العصور [3] ؛ ولكنها لم تزدهـــر إلا خلال بعض الحضارات القديمة مثل : الحضارة اليونانية والرومانية ، ومناطق نفوذها التي كانت منتشرة في أرجاء العالم القديم مثل شمال أفريقيا ، كما بلغت أوج ازدهارها خلال الفترة البيزنطيـــة ، حيث يوجد الكثير من لوحات الفسيفساء في المتاحف الليبية ، وأبدع الفنانون في رسمها وفي تشكيل المناظـــر بقطع من الفسيفساء [4] .

ومن أجمل لوحات الفسيفساء المعروضة في تلك المتاحف ، جاءت من دارة مقامة على تلة تطل على خليج عند مدينة زليتين، والمعروفة بـ(دار بوك أعميرة)، فقد قام

صاحب هذه الدارة بتزيين المبنى بلوحات من الفسيفساء ، التي نفذت في أربعة صفوف جسّـــدت مشاهد المصارعة ، وكذلك اللوحة المعروفة بالفصول الأربعة [5] .

ويلاحظ في هذه اللوحات وغيرها من الفنون التشكيلية الليبية بصفة خاصة وفي شمال أفريقيا عموماً منذ العصر الروماني ، كانت تتســـم دائماً بالواقعية إلى حد بعيد، فاشتهرت المواضيع المقتبسة من الحياه اليومية، وخاصة في مجالات الزراعة والصناعة ومواضيع الصيد [6] .

وعلى الرغم من تنوع الأبحاث والدراسات المختلفة في تاريخ الفنون في العصور المختلفة والمتفرقة على أرض ليبيا، ألا أنها في انتظار المزيد من الدراسات ، وخاصة فسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا .

لذلك فإن دراسة وتحليل نماذج من الفسيفساء البيزنطية في ليبيا، والخامات المستخدمة في هذه الرسوم ، وكذلك الأسس والعناصر المستخدمة في الرسوم، و- أيضاً - دراسة طريقة رسم الأشخاص ، وتوزيعهم في اللوحة ، يمكن من خلالها دراسة القيم الجمالية والتشكيلية لهذا الفن .

مشكلة البحث :

1- هل استمدت اللوحات الفنية الفسيفسائية عناصرها المكونة لرسوماتها وموضوعات التي اتبعت في تصميمها من الطبيعة والبيئة المحيطة بها ؟

2- هل هناك تأثير من خارج ساعد في تصميم اللوحات الموجودة في ليبيا ؟

فروض البحث :

يفترض الباحث ما يلي :-

1- أن فسيفساء (دار بوك أعميرة) في ليبيا استمدت تكويناتها من البيئة المحيطة بها .

2- وجود علاقة بين الأساليب المتبعة في تصميم اللوحات الفسيفسائية بدار بوك أعميرة .

3- ظهور تأثيرات خارجية أسهمت في تكوين وتصميم هذه الأعمال الفسيفسائية .

اهداف البحث :

1- تقديم معلومات عن الفسيفساء البيزنطية بـــ(دار بوك أعميرة) حتى تتوفر لدى الدارسين صورة شاملة عن المكان والزمان والعناصر المصورة الموجودة فيه .

2- العمل على دراسة فنية ووصفية للوحات الفسيفسائية بـــ(دار بوك أعميرة) ، وأهم الموضوعات التي اشتملتها .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في :

1- غنى أرض ليبيا بالآثار الفنية غاية في الجمال، خاصة فن الفسيفساء، وقلّة الباحثين من الليبيين فنجد أغلب وأكثر الدراسات أما باللغة الإيطالية أو اللاتينية .

2- قلّة وندرة الدراسات الوصفية والتحليلية للوحات الفسيفسائية الموجودة في ليبيا .

حدود البحث :

حدود زمانية : يتبع البحث الفسيفساء بدار بوك أعميرة من سنة (533-642م)

حدود مكانية : يتناول البحث فسيفساء فيلا دار بوك أعميرة بليبيا .

منهج البحث :

أعتمد الباحث على فرضية الدراسات التي تفيد في ألقاء نظري على الفسيفساء العصر البيزنطي بدار بوك أعميرة ، وأتبع الباحث المنهج التاريخي والتحليلي والوصفي لدراسة جوانب المشكلة بالقدر الذي يسهم في استجلائها .

الدراسات السابقة :

1- صفاء أحمد عبدالسلام، الفسيفساء في ليبيا دراسة العوامل التلف وطـــرق العلاج والترميم، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، كلية الفنون الجميلة، الإسكندرية، 2013م .

2- نرمين فتحي ، تطور فن الفسيفساء في العصر البيزنطي من القـرن التاسع إلى القرن الثالث عشر الميلادي ، جامعة حلوان كلية الفنــون الجميلة ، قسـم التصوير الإسكندرية ، 2001م .

نبذة تاريخية عن نشأة الفسيفساء :

تذكـرنا كلمة الفسيفساء بما تركة الرومان والبيزنطيون من نماذج متنوعة لهذا الفن، ويبدو من الدراسة التاريخية لهذا المجال الفني، انه ازدهــر في زمن الرومان والبيزنطيين أينما وجـدوا [7] .

يعود هذا الفن إلى ماض بعيد نسبياً ، وهو لا يعدو في بداياته أن يكون مجـرد عملية تجميع لعناصر معدة لتكسيه مساحة مسطحة أو منحنية ، وهناك شواهـد على اعتماد السومريين لمثل هذا الأسلوب الزخرفي خــلال القرن الرابع قبل الميلاد ، ولم يكتسب هذا الأسلوب الزخرفي مكانته الرفيعة في بلاد الإغريق .

ويعود ظهوره في العالم الهيليني إلى القرن السادس قبل الميلاد ، وقـد عرف في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وامتد استخدامه إلى القرن الأول قبل الميلاد، ومن مزاياه أنه خلف للأجيال اللاحقة لوحات بديعة ، تم أنجازها بواسطة حصى الشواطئ ،

وتمثّــل هذه اللوحات مشاهد مختلفة لعلّ أشهرها الصراع بين الحيوانات ومشاهد قصص الأسود .

ولم تبلغ الفسيفساء أبعادها الحقيقية إلا بعد ابتكار تقنية جديدة ، تتمثل في استبدال حصى الشواطئ بمكعبات منحوتة من الرخام أو مــن الحجر الكلسي أو من الفخار أو من عجين الزجاج ، وتنحت هذه المكعبات بيد الإنسان وتحضر بأعداد وفيرة ، مع الحرص على أن تكــون ذات أطــراف قابلة للوصل فيما بينها ثم ترصف بحيث تشكل نموذجاً زخرفياً معيناً [8] .

فالإنســان طور تقنيات الرســم والتلوين ، وفن الزخرفة والتعبير الجمالي ، مع تطور حياته المستقرة واختراعه العديد من الأدوات والصناعات التي جعلت حياته أكثر راحة وأماناً وصحة ، وتعود أولى الأعمال المكتشفة التي يمكن اعتبارها سلف فن الفسيفساء إلى معبد الوركاء بمدينة بابل ، حيث كان سكان بلاد الرافدين أول من استخدم الطوب المزجّــج في تزيين جدران الأبنية بأشكال هندسية متعددة ، وكان لهم الفضل في تطوير أساليبه ، من حيث المواد المستخدمة التي قاموا بتقليل أحجامها إلى أقلّ قدر ممكن، حتى تتعدد ألوانه وتصبح الصور أكثر وضوحاً، اضافة إلى مهارة التشكيل وحرفية التركيب الذي أخرج إبداع لوحاته في باب عشتار، وجدران شارع الموكب وقاعة العرش في بابل .

وقد انتقل هذا الفن خلال القرون التالية إلى آسيا الصغرى واليونان ، حيث ذاع صيتة واتخذ قوالب فنية جديدة ، وتطورت تقنياته ، وتبلورت أساليبه خــلال الحضارة اليونانية ثم الرومانية ، غير أن أهــمّ ما سلط الضوء على أهمية فــن الفسيفساء عبر التاريخ ، هو الاكتشافات المعاصرة التي تمت وتتم في سورية وإيطاليا وتركيا واليونان وتونس والأردن وليبيا وغيرها .

إن المتاحف في العالم تزخــر اليوم بلوحات الفسيفساء التي تحكي قصص وأساطير وتاريخ هذا الفن عبر العصور، وتقدّم لنا مشاهد حية من حياه الإنسان القديم في أعماله واهتماماته اليومية أو في فكرة وطقوسه وملامحة ، وتسهم اكتشافات علم الآثار في معرفة أهم مراحل التي مرت بها تقنيات هذا الفن ، وأهم مدارسة وأساليبه والموضوعات التي تناولها عبر عصور المختلفة .

تعريف الفسيفساء : الفسيفساء كلمة مشتقة من اللغة اليونانية ، والمقصود بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة بواسطة جمع أجزاء صغيرة متعددة ، كالزجاج أو الحجر بألوان مختلفة وأحجام صغيرة لا يتجاوز أبعادها (ســم واحد) وتثبيتها إلى

جانب بعضها فوق الجص ، لتكوين سطحاً من الأرض أو الجدران تكون فيه الموضوعات الزخرفية هي العنصر الرئيسي .

وجاء في لسان العرب تعريف للفسيفساء على أنها ألوان تتألف من الخرز فتوضع على الجدران يؤلف بعضه على بعض وتركب في جدران البيوت وكأنه نقش مصور، أن الفسيفساء نوع من الفنون المهمة التي عرفها الأنسان، يقوم أساسه على جمع مكعبات صغيرة من الزجاج والرخام والحجر المتعدد الألوان ، وفق شكل مرسوم مسبقاً على ارضية أسطح من الملاط يعد خصيصاً لهذه الغاية .

أنواع لوحات الفسيفساء في ليبيا : لقد اتبع الرومان في صناعتهم للفسيفساء ثلاث طرق رئيسة ، وقد ذكر كل من محمود النمس ومحمود الصديق أبو حمد (9) أن هناك ثلاثة أنواع من تقنيات الفسيفساء كانت الأكثر انتشارا في ليبيا، وهي كالتالي :

النوع الأول opus sectile أوبوس سيكتلي : هذا الأسلوب يستخدم في الأرضيات التي يتم تنفيذها بشرائح من الرخام تثبت في المونة على هيئة أشكال هندسية ، مربعة أو مسدسة أو مثمنة أو دائرية أو مستطيلة بأحجام وألوان مختلفة ، ونتيجة استخدام الصخور البركانية أو المتحولة ، فقد كان لذلك أهمية في مقاومة العوامل الجوية وبقائها لأزمنة طويلة ، على أن هذه التقنية تستخدم في الحوائط والأرضيات ، ويرجع أول نموذج تم تنفيذه بهذه التقنية الى القرن الثاني ق. م في إيطاليا ، وتتضمن هذه التقنية وجود الـ Emblema أمبليما – أيضاً- ، في المنتصف أو طبقاً للتصميم وتحديد موقعها (10) .

وقد وجد أثناء الدراسة الميدانية نموذج لهذا الأسلوب لأرضية منفذة من الرخام فقط ومعروضة بمتحف الفسيفساء بلبدة شكل (1)،

شكل (1) ارضية من الرخام النوع الأول opus sectile أوبوس سيكتلي - القرن الثاني الميلادي - وجدت بأحد المواقع الأثرية بلبدة - محفوظة بمتحف لبدة للفسيفساء . من تصوير الباحث .

وفي بعض الأحيان كانت تقسم الأرضية إلى جزئين، جزء يتـم تنفيذه بقطع الرخام، والجزء الأخر بقطع الفسيفساء الصغيرة، كما وجد في دار سيلين شكل (2) على أن هذا الاسلوب استمر في تكسيه الأرضيات ، دون أن تتضمن أي زخارف، وقد انتشر هذا الأسلوب في القرن الثاني الميلادي لتشكيل المناظر المصورة وصرعات الحيوانات ..الخ .

شكل (2) ارضية فسيفساء والرخام من دار فيلا سيلين، والتي تبعد عن لبدة بحوالي 15 كم ـ مساحة الرخام مع الفسيفساء 221× 221سم، تصوير الباحث .

وفي بعض الأحيان تضمنت هذه الأرضيات وحدات من الفسيفساء الدقيقة الـ Emblema إمبليما، ومع الرخام وقد وجد هذا الأسلوب منتشراً في العديد من المواقع الأثرية بليبيا ، وقد ذكر النمس أن أرضية الفصول الأربعة التي عثر عليها في دار بوك أعميرة ، تعتبر من أهم الأرضيات، والتي تمثل هذا الأسلوب، وقد تضمنت هذه الأرضية مجموعة من المربعات مصورة من الفسيفساء مع مربعات من الرخام المتعدد الألوان، وقد احيطت بإطار من الضفائر المجدولة ، وقد قسمت الى خمسة عشر مربعاً، خمسة في اتجاه طول وثلاثة في اتجاه العرض، وتضمنت المربعات الجانبية المنفذة بالفسيفساء أيضاً صوراً للطيور وأسماك وأقزام وفاكهة، على أن المربعات الوسطى قد خصصت للإهيات الفصول الأربعة شكل (3) يحيط بها زخارف هندسية من كل جانب عبر المربعات الخمسة [11] .

شكل (3) فسيفساء الفصول الأربعة، والتي عثر عليها بفيلا دار بوك أعميرة، وهي ترجع الى القرن الأول الميلادي، مقاس 234×335.5سم تصوير الباحث بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس .

النوع الثاني Opus Tessellatum أوبوس تيسيلاتوم : وجدت نماذج من هذا النوع في كل من لبدة وتامورا وصبراتة ، وقد توصل إليها الإغريق منذ منتصف القرن الثالث ق . م، وهي تطوير لتقنية opus signinum حيث تم الاستغناء عن الحصى ، واستخدمت الأحجار كبديل، بالإضافة إلى قطع التراكوتا والزجاج ، وكانت تنفذ كامل الأرضية من قطع صغيرة ترتب بأشكال منتظمة مربعة الشكل بسمك 1-2سم، وفي خطوط مستقيمة أو منحنية، وطبقاً لوحدات التصميم، إلى ذروة الإتقان خلال القرن الثاني ق.م، مع تنوع الموضوعات المصورة ، هذا بالإضافة إلى تنوع الضخم في العناصر أو الأشكال الزخرفية الهندسية ، مثل المستطيل، المربع، سداسي أو مثمن الشكل ...الخ، والخلفيات والأطر في تألق لوني ومتعدد الدرجات ، على أنه كان يتم في بعض الأحيان استخدام شرائح الرصاص لضمان ترتيب قطع الأحجار في صفوف شكل (4) وتعد فسيفساء دار النيل بلبدة نموذجا لهذا الأسلوب [12-13] .

شكل (4) أرضية من فسيفساء تصور بعض الصيادين يصطادون الأسماك من البحر
- مقاس 120×380سم عثر عليها بمدينة لبدة .ترجع هذه الارضية الي القرن الثالث

النوع الثالث opus vermiculatum أوبوس فيرميكولاتوم: يعد هذا الأسلوب تطوراً لـــ Opus Tesselltum وقد تم تنفيذ الأرضيات كلها من قطع فسيفساء الصغيرة، حيث اعتمد هذا الأسلوب على تصوير الأرضيات أولاً، ثم يتم تقسيمها من الداخل بإطارات من الفسيفساء الملون على شكل لوحات ، تحتوي كل منها على أحد المناظر الطبيعية، وقد استخدم مع هذا الأسلوب القطع المتناهية في الصغر حوالي 1-4 ملليمترات، وليس بالضرورة أن تكون مربعة الشكل، ودائماً يتم ترتيبها طبقاً لخطوط التصميم ، أو الأشكال، بما يشبه شكل الدودة كما يشير اسمها، وهذه التقنية كانت تستخدم في تنفيذ الـــ Emblema ، إمبليما من أهم وأشهر هذه الأرضيات في ليبيا، أرضية (أورفيوس) شكل (5)، والتي عثر عليها بأحدي الدارات الرومانية بالقرب من مدينة لبدة (14-15) .

شكل (5) أرضية من فسيفساء تصور (أورفيوس) جالساً يعزف على القيثارة وحولة بعض الحيوانات والطيور تصغي الية بانسجام، ترجع الى القرن الثاني الميلادي ـ مقاس 200×198سم. تصوير الباحث متحف السرايا الحمراء بطرابلس .

التخطيط الهندسي لمبنى دار بوك أعميرة :

- يتكون هذا المبنى بالحدائق تطوق المنزل بأحزمة من أشجار الفواكه والزهور وتتوسطها نوافير توفر الجو المكيف للمنزل للجوء إلية في فصل الصيف .
- كما زوّد المنزل بمصاطب تحت ممرات ذات أعمدة منقوشة تظلل جوانب المنزل لإقامة الحفلات الساهرة في الهواء الطلق بين التماثيل المنتشرة على أركان المكان .
- ووظفت القاعات الفسيحة المزينة بالرخام وألواح الفسيفساء للجلوس والنوم .
- كما احتوت على مكتبات خاصة الى جانب الحمامات الحارة والباردة على شكل دائرية الشكل بالركن الجنوبي للمخطط الدارة [16] .

الدراسة التحليلية للوحات الفسيفساء الليبي بدار بوك أعميرة :

اللوحات الفسيفسائية الارضية والجداريات "الرومانية" بفيلا دار بوك أعميرة ـ القرن الأول والثاني الميلادي، حسب علماء الآثار فأن أغلب لوحات الفسيفساء الرومانية التي عثر عليها بليبيا يظهر عليها تأثير مدارس الشرق لصناعة الفسيفساء خصوصاً مدرسة الإسكندرية .

تعتبر ليبيا من أغنى المناطق في شمال أفريقيا في امتلاكها الجداريات ولأرضيات الفسيفساء ذات الموضوعات الكثيرة التي تمثل جميع أوجه الحياه العامة، مثل الحياه

الاقتصادية خاصة الزراعة والصيد البحري، والحياه الاجتماعية متمثلة في أعمال اللهو والترفيه، بالإضافة الى ذلك نجد موضوعات تمثل الأساطير الإغريقية الرومانية.

نموذج من لوحة الفسيفساء الفصول الأربعة : وصف اللوحة وتحليلها :

من أجمل لوحات الفسيفساء في العالم وجدت في دار بوك أعميرة في زليتين، وتعود للعصر الروماني عثر عليها بدار بوك أعميرة، موجودة في متحف السرايا الحمراء بطرابلس، شكل (6) حيث جسدت فصول السنة الأربعة من خلال صور نسائية مختلفة الملامح حيث تعكس كلا منها فصل من الفصول وضعت في مربع بالإضافة عن المربعات اخرى تضمنتها اللوحة ، ويحيط بالأشكال النسائية إطار على اليمين واليسار حيث جسد الفنان في هذه اللوحة الفسيفسائية فصول السنة أربعة :

ـ **فصل الشتاء** : تمثلت في السيدة التي ترتدي ثوباً داكن اللون دون أكمام وتضع على رأسها وشاحاً يغطي شعرها وينسدل على أكتافها وتزين رأسها بأوراق نبات الغاب وتمسك في يدها فرعاً منة شكل (6 ـ أ).

ـ **أما فصل الربيع** : تمثل في المرآه تمثل فصل الربيع والتي تزينت برداء بألوانه الجميلة، وزينت رأسها بأوراق الأشجار وثمار الفاكهة وتدلي على كتفها طرحة أو وشاحاً ليغطيه شكل (6 ـ ب).

أما فصل الصيف : تمثله سيدة أخرى زينت رأسها بـــورق الشجر مع ثمار الفاكهة تمسك في يدها منجل رمزاً للحصاد، شكل (6 ـ جـ).

فصل الخريف : وفي الصف الأخير الذي تتوسط مربعاته سيدة تمثل فصل الخريف حيث وضعت الأزهار وثمار الفاكهة في شعرها لتزين رأسها، كما أنها وضعت عصبة حول الرأس وتمسك بيدها بعض الكروم وعناقيد العنب، شكل (6 ـ د) .

يتضـــح من خلال هذه اللوحة كيف ميز الفنان بين كل فصل وآخر، فالشتاء ارتبط بالعبادة لتقيها برد الشتاء ، أما الصيف مثلة بموسم الحصاد، والربيع بأزهاره وأوراق الأشجار بثمار الفاكهة، والخريف بالكروم .

إن السنة مقسمة الى أربعة فصول ، الصيف إلى أسفل ، والشتاء إلى أعلى، والربيع والخريف على اليسار واليمين ، وكل فصل لا يعني لدى المواطن الروماني سوى أنه موسم لصيد حيوانات معينة ، ويصل طول اللوحة إلى تسعة أمتار تتكون من ثلاث لوحات متكاملة، فنشاهد على يمين اللوحة من أعلى منظراً لأسماك مختلفة الأشكال في وضع حركي متعدد شكل (6 ـ هـ) ، فتظهر الأسماك وكأنها تحاول الاختباء ، ونشاهد ـ أيضاً ـ يمين اللوحة من أسفل منظراً لصيد الطيور، ونجح الفنان في التعبير عن

حركات الطيور في وضع الانقضاض على الصائد الموجود الذي يحاول استخدام درعه لردع الحيوانات ، ونشاهد في يسار اللوحة من أعلى مناظراً لصيد الغزال وبعض الطيور مع كلب الصيد المدرب وفي وسط اللوحة من اليسار تكرار للأسماك الموجودة في يمين اللوحة ، لكن مع تغير حركات الأسماك .

أما في يسار اللوحة من الأسفل نشاهد منظراً للصيد باستخدام قارب صغير شـــكل (6 ـ و)، ونجح الفنان في التعبير عن حركة الصيد ، فنشاهد شخصان الأول يقوم بالتجديف والثاني يقوم بسحب شبكة الصيد، ونلاحظ أن الفنان برع في استخدام تدرجات اللون البني في الطيور والأسماك والأشخاص وملابسهم وفي البرواز المحيط باللوحة، ونجح كذلك في تدرجات اللون البرتقالي في الخلفية المنفذة باللون الفاتح، فقد نوع الفنان في أحجام الحصى والأشخاص والطيور والأسماك ، فاللوحة قسمت إلى أربعة أقسام في اليمين واليسار مناظر الصيد وفي الوسط أربعة أشخاص للتعبير عن الفصول الأربعة تم وصفهم في بداية تحليل اللوحة .

ومن خلال تحليل للوحة الفصول الأربعة فقد تبيّن أنها تبرز جميـــع القيم الفنية والتاريخية والإنسانية في قطعة فنية واحدة ، وقد وصف خبراء الآثار البريطانيون هذه القطعة مؤخراً بأنها من أروع أعمال الفسيفساء التي اكتشفت في ليبيا [17] .

نماذج من اللوحات الفسيفساء التي تمثل الحياة الاجتماعية :

أما عن الحياة الاجتماعية فأن أحسن نماذجها تلك اللوحات الفسيفسائية التي تمثل اللهو والترفيه والرياضة ، فإن أحسن ما يمثل هذا الجانب لوحتان :

الأولى جلبت من فيلا دار بوك أعميرة بزليتين ، وهي معروضة حالياً بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس وهي تمثل تلك الألعاب التي كانت تقام بالمسارح الدائرية " الامفتيتر" وقد كانت تلك الألعاب تقام لمجرد تسلية الرومان من خلال استعراضات مثيرة تشمل المصارعين وهم يحملون السيوف شكل (7) ومصارعي الوحوش المفترسة ، ونلاحظ في هذا الجانب من الاستعراضات أنه كلما كانت الوحوش المفترسة غير مألوفة ، كلما ازداد السرور الجمهور، لقد ترك لنا الشاعر الروماني " مارتيال " أخبار تلك الاستعراضات من خلال أشعاره الكثيرة التي تمتاز بالمبالغة، ولكن رغم هذا فإن تلك الأخبار هي خير دليل على حياة اللهو والترفيه المروع الذي كان يعيشه الرومان، لقد أشار " مارتيال " إلى استعراضات استمرت حوالي 100 يوم، وقد كانت تلك الاستعراضات غريبة ومليئة بالعنف والقسوة، وقد استطعنا التعرف بأنه في يوم واحد فقط تم قتل ما يزيد عن 5000 من الحيوانات المفترسة التي كانت تجلب من أدغال

أفريقيا . ويصوّر جانب من هذه الفسيفساء عملية صيد الحيوانات البرية حيث نرى صيادين وكلابهم وهم ينقضون على غزال وبقرة وحشية وحمار من النوع الوحشي ، وعدد من النعام، وفي جانب آخر يظهر ثور ودب ، وقد ربطا إلى بعضهم بعضا وهما يتقاتلان حتى الموت ، وعلى العموم فإن موضوعات هذه الفسيفساء لم يقتصر على عمليات صيد الحيوانات المفترسة فحسب ، بل إن موضوعاتها كانت تشتمل على مبارزات كانت تجرى بين الحيوانات المفترسة والآدميين ، حيث نلاحظ في نفس الفسيفساء السابقة منظر يمثّل بعض المساجين وأسرى الحرب المساكين وهـم يقدمون للحيوانات المفترسة ، حيث نلاحظ نمراً يجهز على أحـد يستعد للانقضاض على فريسته البشرية شكل (8 أ ـ ب) .

ـ لوحات فسيفساء تمثل الحياه الاقتصادية :

لوحـــــة (دراس الغلال دار بوك أعميرة زليتين) :

أما عن اللوحات الفسيفسائية التي تمثل الحياة الاقتصادية فتوجد العديد من اللوحات التي تمثل الحياه "الريفية" وعمليات صيد الوحوش البرية وعمليات الصيد البحري .

وأحسن ما يمثل الحياة الريفية تلك اللوحة فسيفساء دراس الغلال في دار بوك أعميرة بزليتين، وتؤرخ ما بين 70/50 م ، ومحفوظة الآن بمتحف طرابلس شـــكل (8)، ويبين المنظر دراس الغلال وهو يقف على مسافة من الدار التي نراها في الجزء الخلفي من الصورة وتظهر الأرض مغطاة بالحبوب ويشرف رجل على سير العمل، كما نجد رجلاً آخر يسوق بالعصاة زوجاً من الثيران اللذان يسيران ببطء وبدون رغبة على الدراس ويمسك في الطرف الآخر رجلان بحصانين يرفسان ويثبان ويسوقاهما فوق أرضية الدراس والصفة الواضحة على هـــؤلاء الرجال جميعاً هي ملامح القوة والجسم الرشيق المفتول العضلات وتتراوح أعمارهم ما بين العشرين والثلاثين عاماً عدا الوكيل الذي يكبرهم في الغالب بعشر سنوات .

ويسيطر على هذه القطعة من الفسيفساء اللون الأصفر واللون البني بدرجاته واللون الذهبي وهي ألوان متناسقة مع بعضها البعض، وتوحي بالدفء والهدوء الذي يخيم على المنظر ككل، وعلى الرغم من جدية الموضوع المصور وأهمية درس الغلال إلا أن الفنان نجـــح في أن يجعلنا نشعر بالهدوء في المنظر بشكل عام ، وذلك على الرغم من عنف الحركة التي أظهرت الخيول من ناحية ، و-أيضاً ـ مشقة العمل من ناحية أخرى ، وهذه القطعة تتناول جانباً من الحياة الاقتصادية ، وهو درس الغلال بعد حصاد القمح ثم حفظ الغلال، وعملية درس الغلال تتم عن طريق الثيران أو أي من الدواب القوية،

وهي تمر بأقدامها فوق القمح المبذور أرضاً وتدرسه بحوافرها وتساعدها الخيول في هذه العملية حتى تخـــرج الحبة من السنبلة وتنفصل على القشرة الخارجية .

ويظهر في هذه العملية أحد الرجال، وهو يقود الماشية سواءً كانت أبقاراً أم ثيراناً فنراه عارياً تماماً وقد أمسك بعصا في يده اليمنى ليهدد بها الثيران ويدفعها لمواصلة دورها وتتميز هذه الثيران بضخامة الجسم والشكل القوي واللون البني المتناسق والذي يتناغم مع درجات لون القمح المفروش على الأرض .

كما نرى على الجانب الآخر من اللوحة عاملان آخران يقومان بقيادة حصانين ودفعهما إلى السير فوق مكان دراس الغلال استكمالاً لعملية الدرس ، وقد ظهرت الخيول بلونها البني باختلاف تدرجه بين الفاتح والداكن ، كما ظهر اللون البرونزي وتظهر على الخيول ملامح القوة والرشاقة ، وهي بتهدل فوق مكان دراس ويبدو أن الحصان الأيمن قد هـــاج على فارسة ورفع أقدامه الأماميـــة دلالة على الغضب والثورة مما دفع الفارس إلى أن يرفع علية العصا ليهدده ؛ بل ليضربه بها .

ويوجد على مسافة قريبة من الجرن قصر ريفي جميل يتقدمه الأروقة المرفوعة فوق عقود مرتفعة ، بالقرب من القصر يظهر منزل صغير أقل ارتفاعاً من القصر يبدو أنه يخصّ العمال .

شكل(6) فسيفساء الفصول الأربعة، والتي عثر عليها بفيلا دار بوك أعميرة، وهي ترجع الى القرن الأول الميلادي، مقاس 234×335.5سم تصوير الباحث بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس .

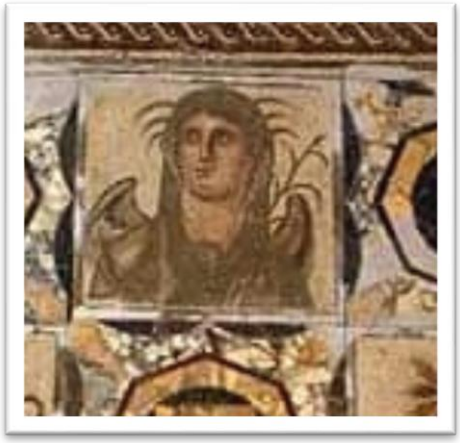

شكل(6ـأ) جزء من فسيفساء الفصول الأربعة، لسيدة تمثل ألهه فصل الشتاء .

شكل(6ـب) جزء من فسيفساء الفصول الأربعة، لسيدة تمثل ألهه فصل الربيع.

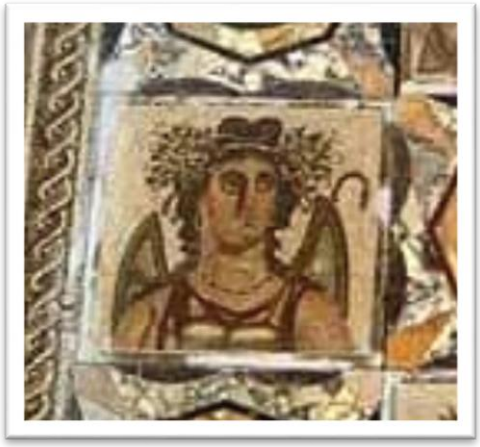

شكل(6-جـ) جزء من فسيفساء الفصول الأربعة، لسيدة تمثل ألهه فصل الصيف.

شكل(6-د) جزء من فسيفساء الفصول الأربعة، لسيدة تمثل ألهه فصل الخريف.

شكل(6- هـ) جزء من فسيفساء الفصول الأربعة، لمجموعة من الأسماك في حركات مختلفة

شكل(6- و) جزء من فسيفساء الفصول الأربعة، لصيدين
أحدهم يجدف والأخر يسحب شبكة الصيد .

شكل(7) لوحة فسيفسائية توضح الحياة الاجتماعية
مصارعين يحملون السيوف

شكل (8- أ) لوحة فسيفساء تمثل المصارعة بين الحيوانات
وعملية الصيد للحيوانات

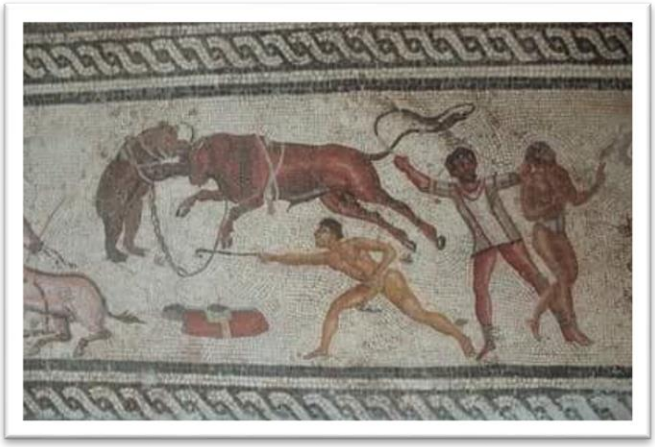

شكل (8- ب) جزء من اللوحة فسيفساء تمثل مصارعة بين الحيوانات والآدميين

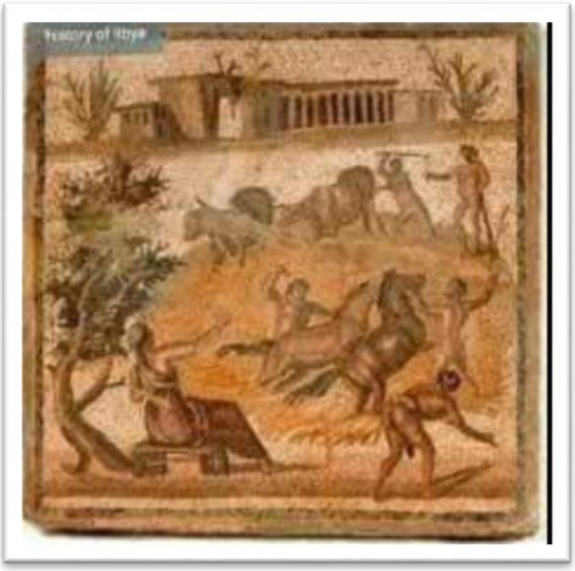

شكل (9) لوحة فسيفساء توضح دراس الغلال بفيلا
دار بوك أعميرة

ـ النتـائج والتوصـيات

اولاً ـ النتائج :

1 ـ من خلال هذه الدراسة أثبتت أن الفسيفساء دار بوك أعميرة في ليبيا استمدت موضوعاتها وتكويناتها من البيئة المحيطة بها .

2 ـ أثبتت الدراسة وجود علاقة بين اللوحات الفسيفساء البيزنطية في جميع الأراضي الليبية في الموضوعات المنفذة، سواء كانت موضوعات اجتماعية أو اقتصادية أو رياضية وأساطير .

3 ـ كذلك من خلال هذه الدراسة أثبتت ظهور تأثيرات خارجية أسهمت في تصميم وتكوين هذه الأعمال الفسيفسائية، كفسيفساء مدرسة الإسكندرية وفسيفساء شمال أفريقيا في تونس .

ثانياً ـ التوصيات :

1 ـ الاهتمام بالفسيفساء الليبية ، وذلك بعمل تصنيف لجميع أعمال الفسيفساء الموجودة في المدن الليبية، على أن تصنّف هذه الأعمال في أجزاء ومطبوعات مع تحليل لهذه الأعمال الفنية فمثلاً : فسيفساء الحياة الاجتماعية ـ فسيفساء الحياة الاقتصادية ـ فسيفساء مباريات المبارزة والمصارعة ....الخ .

2 ـ إقامه وأنشاء كليات فنية متخصصة تهتم بتدريس فن الفسيفساء .

3 ـ الحفاظ على أعمال الفسيفساء الليبية، واستخدام الأساليب الحديثة في العرض المتحفي لها .

4 ـ مناشدة المؤسسات التعليمية والهيئات البحثية والوزارات المعنية بالثقافة والعلوم، بتزويد المكتبات الجامعية بالكتب الفسيفساء في ليبيا .

الهوامـــــــــــــش :

1 ـ فسيفساء دار بوك أعميرة الأقدم والأندر، صحيفة ليبيا الإخبارية، 23-6-2021 . WWW.NEW SLI LY .LY

2 ـ بعض السمات الفنية لزخارف فيلا دار بوك أعميرة الرومانية، مجلة كلية الآداب، عبدالمنعم عثمان، عدد 45- 2019 .

3 ـ مجدي سعيد الطنطاوي، تطوير تقنيات ترميم وصيانة أعمال الفسيفساء، رسالة دكتوراه " غير منشورة "، جامعة الإسكندرية " كلية الفنون الجميلة "2000م، ص 10 .

4 ـ على مسعود البلوشي، تاريخ الفن، المركز الوطني لتخطيط التعليم والتدريب، طرابلس، 2003م. ص128 .

5 ـ الصادق النيهوم، موسوعة تاريخنا الجزء الثالث، دار التراث، طرابلس، ليبيا، 1977م، ص 240- 241 .

6 ـ عبير عبد المحسن قاسم، فن الفسيفساء الروماني، ملتقى الفكر الإسكندرية، مجلة محكمة 1999م، ص19 .

7 ـ محي الدين طالو، فنون الزخرفية ومعمارية عبر التاريخ، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، 1999م، ص91 .

8 ـ عبد الباقي الهرماس، فنون تونسية " الفسيفساء "، 2004م، ص89 .

9 ـ محمود عبدالعزيز النمس، محمود الصديق ابو حمد، دليل متحف السرايا الحمراء بطرابلس، الإدارة العامة للبحوث والمحفوظات التاريخية بمصلحة الأثار، 1977م .

10 - Dunbabin, Katherine M. D. Mosaics of the Greek and RomanWorld, Cambridge University Press, 1999 . p120

11 ـ محمود عبد العزيز، وأخرون، المرجع السابق، ص141 .

12 - Fischer,P. mosaic history and technique, thames and Hudson, London, 1971 .p147.

13 - Fiorentini R, Isotta and Fiorentini, E, Mosaic Materials, Techiques and History, MWe V Editions, Ravenna, Italym 2002 . p12 .

14 ـ محمود عبدالعزيز النمس، وأخرون، المرجع السابق، ص 141 .

15 - Fiorentini, R,et al. cit. pp 12 .13

16 ـ فسيفساء دار بوك أعميرة الأقدم والأندر، صحيفة ليبيا الإخبارية، 23يونيو2021م .

17 ـ الصادق النيهوم، موسوعة تاريخنا الجزء الثالث، دار التراث، طرابلس، ليبيا، 1977م، ص127،لوحة 54 .